

التمثيل الالتفات وصوره دراسة بلاغية في ضوء أمثلة قرآنية الالتفات

أ. فضل الله *

١ تعريف الالتفات لغةً

الالتفات مأخوذ من قولهم: التفت الإنسان إذا تحول بعنقه من اليمين إلى الشمال أو من الشمال إلى اليمين. فهو من لفت و التفت و يقال لفت وجهه عن القوم صرفه والتفت التفاتاً والتفت وجهه إليه صرف وجهه إليه كما قال الشاعر:

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً يلاحظني من حيث ما أتلّف

وقال:

فلما أعادت من بعيد بنظره إلى التفاتياً أسلفتها المحاجر

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْ﴾ (١) أمر بترك الالتفات لئلا يرى عظيم من ينزل بهم من العذاب ، وفي الحديث ، فإذا التفت ، التفت جميعاً ؛ أى أنه صلى الله عليه وسلم لا يسارق النظر. (٢) وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا و تارة كذا. (٣)

والخلاصة أن الالتفات إلى الشئ معناه صرف الوجه إليه والميلان إليه والالتفات عن الشئ أى الإعراض عنه.

* المحاضر في كلية اللغة العربية و الدراسات الإسلامية جامعة العلامة إقبال المفتوحة اسلام آباد

التفات عند البلاغيين

للبلاغيين في تعريف الالتفات مذهبان. مذهب الجمهور و مذهب السكاكي :

عند الجمهور "هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها" (٤) أى بشرط أن يكون التعبير الثانى على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع ، ولا بد من هذا القيد ليخرج : مثل أنا زيد و أنت عمرو وقوله تعالى "إياك نستعين" واهدنا" و "أنعمت" فإن الالتفات إنما هو فى إياك نعبد والباقي جار على أسلوب إياك نعبد فلما التفت للخطاب صار الأسلوب له (٥) والمراد من الطرق الثلاثة" المذكورة فى تعريف الجمهور هى : التكلم والخطاب والغيبة. كما فى قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ أَنفُسُهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ بحيث قيل أولاً جاءوك بالخطاب ثم قيل "الرسول" بالغيبة.

و أما الالتفات عند السكاكي فهو "أن يعبر عن ذات بطريق من طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة عادلاً عن أحدهما الذى هو الحقيق بالتعبير فى ذلك الكلام إلى طريق آخر منها.و على هذا فالجمهور والسكاكي يتفقان فى نقطة و يختلفان فى نقطة أخرى و أن الالتفات عند الجمهور أخص منه عند السكاكي وكل التفات عندهم التفات عنده وليس العكس لأنه أراد بالنقل أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه الغير " أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره فهو لا يشترط تقدم التعبير والجمهور يشترطونه و يوافق معهم فى تسمية ما تقدم التعبير عنه بطريق آخر من الطرق الثلاثة التفاتاً و يخالفهم فى جعل ما لم يتقدم التعبير عنه بطريق آخر مما كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيرها منها فى باب الالتفات. (٨)

ويظهر أثر الخلاف بين الجمهور والسكاكي فى المحسن الذى يسمى بالتجريد (٩) فى علم البديع مثل قول علقمة بن عبده فى طالع قصيدته :

طحا بك قلب فى الحسان طروب

مخاطبا نفسه على طريقة التجريد فهذا من الالتفات عنده وليس منه عند الجمهور. والملاحظ أن العلاقة بين الالتفات والتجريد هي علاقة العموم والخصوص من وجه فيوجد التجريد بدون الالتفات كقولنا رأيت منه أسداً ومثل تطاول ليلك على رأى الجمهور والالتفات دون التجريد نحو تكلفنى "ليلى" ونحو "فسقناه" وقد يجمعان كما فى نحو ﴿فصل لربك وانحر﴾ (١٠) ويرى السكاكي فى قول الشاعر. (١١)

بانئت سعاد فأمسى القلب معموداً وأخلفتك ابنة الحر المواعيد (١٢)

التفاتاً حيث كان مقتضى الظاهر أن يقول: وأخلفتني فالتفتت من التكلم إلى الخطاب وقال و "أخلفتك" وكذا فى قول الخليفة "أمير المؤمنين يأمر بكذا" فهو التفات على رأى السكاكي لأنه منقول عن التكلم لكونه مقتضى الظاهر إلى الغيبة لأن الأسماء الظاهرة من قبيل الغائب كما علمنا وأما على رأى الجمهور فلا لعدم تقدم خلافه وفى مثل قول امرئ القيس:

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلى ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العائر الأرمد

وذلك من خبر جاءنى ونبتته عن أبى الأسود (١٣)

ففيه على قول السكاكي ثلاثة التفاتات (١٤) وعلى قولهم التفاتان فى الأول منهما إذ مقتضى الظاهر تطاول ليلى فعدل عن التكلم إلى الخطاب. (١٥)

والخلاصة أن الالتفات عن الجمهور هو الرجوع عن أسلوب (من التكلم و الغيبة والخطاب) من أساليب الكلام إلى غيره أى بعد أن يختار طريقاً من الطرق

الثلاثة المذكورة يغير هذه الطريقة المختارة في أول كلامه و ينتقل إلى طريقة أخرى فالالتفات عند الجمهور لا يتحقق إلا في تعبيرين الثانى منها على خلاف الأول و أما عند السكاكي فهو أعم منهم و يدخل عنده التجريد ضمن الالتفات فيتحقق في حالة وجود تعبيرين كما هو عند الجمهور و في حالة وجود تعبير واحد بأن يقع ابتداء في أول الكلام لمحيثه على خلاف مقتضى الظاهر في التعبير.

و من الملاحظ أن بعض العلماء مثل ابن الأثير والعلوى و غيرها يدخلون التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى والعكس، والرجوع عن الفعل المستقبل إلى الفعل الأمر في باب الالتفات، ولكن رأى الجمهور مخالف لهؤلاء، ولذا تركنا آرائهم إذ وضع الجمهور لكل باب من هذه الأبواب مباحث مستقلة ولا يحتاج إدراجها في الالتفات.

أهمية الالتفات و آراء العلماء فيه

أول من أطلق هذه التسمية هو الأصمعي فقد روى أنه سأل بعض من كان يتحدث إليهم فقال له: أتعرف التفاتات جرير؟ فأجاب لا. فما هي؟ قال:

أتنسى إذ تودعنا سليمي بعود بشامة سقى البشام

ألا تراه مقبلاً على شعره ثم التفت إلى البشام فدعاه؟

و قوله:

طرب الحمام بذى الأراك فشاقتني لا زلت في غلل و أيك ناضر (١٦)

فالتفت إلى الحمام فدعاه (١٧) فهو يطلق الالتفات على نوع من التعبير وهو ذلك الكلام الذى يظن المخاطب أن محدثه قد فرغ منه و انتهى من معناه و سيترك هذا المعنى و يتجاوز به إلى معنى آخر فإذا أن يلتفت إلى المعنى الذى فرغ

منه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به..... ومن قبل أشار أبو عبيدة إلى نوع آخر من الالتفات وإن لم يسمه بهذه التسمية حيث يقول: ومن مجاز ما جاءت به مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (١٨) أى بكم.

ثم جاء عبد الله بن المعتز فذكر في كتابه البديع أن الالتفات يرد على نوعين: نوع ينصرف فيه المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك وهذا هو ما يصدق عليه الالتفات في الآية التي ذكرها أبو عبيدة ونوع ينصرف فيه المتكلم عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر وهذا ما ذكره الأصمعي. (١٩)

وقد اهتم البلاغيون بالنوع الأول وتركوا النوع الثاني، والحقيقة أن الالتفات من أهم أبواب البلاغة عموماً وأبواب خروج الكلام عن مقتضى الظاهر خصوصاً: لأن فيه تجديد أسلوب التعبير عن المعنى بعينه تحاشياً من تكرار الأسلوب الواحد عدة مرات فيحصل بتجديد الأسلوب تجديد نشاط السامع كي لا يمل من إعادة أسلوب بعينه (٢٠) قال السكاكي في المفتاح "أن العرب يستثكثرون من الالتفات ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطريةً لنشاطه وأملأ باستدرار إصغائه وهم أحرى بذلك أليس قرئ الأضياف سجيتهم ونحر العشار للضيف دأبهم..... أفتراهم يحسنون قرى الأشباح فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد فإن الكلام المفيد عند الإنسان لكن بالمعنى لا بالضرورة أشهى غذاءً لروحه وأطيب قرى لها..... (٢١) وسماه ابن جنى "شجاعة العربية" و تبعه ابن الأثير الحلبي "لأن الشجاعة هي الإقدام وذاك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيع غيره ويتورد ما لا يتورده سواه وكذلك هذا

لالتفات فى الكلام فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات. (٢٢) أو أنه دليل على حدة ذهن البليغ و تمكنه من تصريف أساليب الكلام كيف شاء كما يتصرف الشجاع فى مجال الوغى بالكر والفر. (٢٣) ومن الملاحظ أن بعض العلماء مثل السكاكي وغيره أحياناً يعدون باب الالتفات فى باب المعانى (٢٤) وأحياناً فى البديع فما السر والسبب فى ذلك؟

وقد عده الجمهور من علم المعانى كالزمخشري (٢٥) وغيره و علل ابن يعقوب المغربى هذا التردد بين مكانه فى كل علم قائلاً "فإن قلت لأى وجه خصص تسميته بعلم المعانى مع أن عد الالتفات من البديع أقرب لأن حاصل ما فيه أنه يفيد الكلام ظرافة وحسن تطرية فيصغى إليه لظرافته و ابتداعه ولا يكون الكلام به مطابقاً لمقتضى الحال فلا يكون من علم المعانى فضلاً عن كونه يختص بهم فيسمونه به دون أهل البديع؟ قلت: أما كونه من الأحوال التى تذكر فى علم المعانى فصحيح كما إذا اقتضى المقام فائدته من طلب مزيد الإصغاء لكون الكلام سؤالاً أو مدحاً أو إقامة حجة أو غير ذلك فهو فى هذا الوجه من علم المعانى ومن جهة كونه شيئاً ظريفاً مستبدعاً يكون من علم البديع وكثيراً ما يوجد فى علم المعانى مثل هذا فليفهم. (٢٦)

ولعل تقسيم السكاكي البلاغة إلى ثلاثة أبواب أدى إلى هذا الجواب من ابن يعقوب المغربى و إلا لا يكون الالتفات إلا إذا كان مطابقاً لمقتضى الحال فيكون فيه ظرافة وطلاوة لأن الانتقال من أسلوب إلى أسلوب لا يكون إلا إذا اقتضاه الحال أريد به نوع من الإبداع والمتعة.

فوائد الالتفات و أسرارها البلاغية

وقد تكلم الإمام الزمخشري عن فائدة الالتفات أثناء تفسيره لقوله تعالى:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حيث يقول: فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة إلى الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب..... إلى أن قال "وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه؛ لأن الكلام إذا نقل من أسلوب كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد" (٢٧) وقال في مكان آخر "هو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع، وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الأذان للاستماع وتستشهش الأنفس للقبول (٢٨)

ولكن صاحب المثل السائر رد قول الزمخشري قائلاً: "وليس الأمر كما ذكره الزمخشري لأن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه فإن ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع وهذا قدح في الكلام لا وصف له لأنه لو كان حسناً لما مل وأيضاً أن مفهوم قول الزمخشري هو أن الالتفات يوجد في الكلام المطول والحقيقة عكس ذلك إذ ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع كثيرة في القرآن الكريم ويكون مجموع الجانبين معاً يبلغ عشرة ألفاظ أو أقل عن ذلك. وأيضاً أن الالتفات عنده إنما يستعمل قصداً للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل إليه لا قصداً لاستعمال الأحسن وهذا ليس مسلم". (٢٩)

ثم جاء الإمام العلوي ورد قول ابن الأثير عن الزمخشري وقال: "ولكن زعم ابن الأثير رداً لكلام الزمخشري بوجهين أحدهما أنه قال إنما جاز الالتفات من أجل التنشيط للسامع واعترضه بأن الكلام لو كان فصيحاً لم يكن مملاً وهذا خطأ وجهل بمقاصد البلاغة فإن مثل هذا لا يزيل فصاحة الكلام ولا ينقص من بلاغته ولهذا فإنه لو ترك فيه الالتفات فإنه باقٍ على الفصاحة ولكن الغرض أن خروجه من

أسلوب الخطاب إلى الغيبة يزيد في البلاغة و يحسنها ويكون الخطاب مع ما ذكرناه أوقع و أكشف عن المراد و أرفع.

و ثانيهما قوله "إن ما قاله الزمخشري إنما يوجد في الكلام المطول و الالتفات كما يستعمل في الطويل فهو يستعمل في القصير وهذا فاسد أيضا فإن الزمخشري لم يشترط التطويل في حسن الالتفات فينتقص بما ذكرته و إنما أراد تحصيل الإيقاظ و ازدياد النشاط بذكر الالتفات. (٣٠)

إذا نظرنا إلى هذه الأقوال الثلاثة. قول الزمخشري ورد ابن الأثير عليه ورد العلوي على ابن الأثير نجد أن قول الزمخشري صائب ورد ابن الأثير عليه ضعيف و دفاع العلوي عن الزمخشري معقول: إذ إن الزمخشري لم يقصر فائدة الالتفات على التنشيط فقط بل ذكر صريحاً بقوله "وقد تختص الواقعة بفوائد" بعد قوله عن التعليل مباشرة و أن ما ذكره عن فائدة الالتفات هو الفائدة العامة فقط و ما اشترط من قريب و لا من بعيد أن يكون الكلام مطولاً و إلا لا يجوز الانتقال من أسلوب إلى أسلوب. و نحن نستطيع أن نقول. بعد إيراد أقوال العلماء. أن التنشيط و الإيقاظ فائدة عامة توجد في جميع أنواع الالتفات و أساليبه و يختص كل أسلوب و نوع بلطائف و أسرار أخرى سنذكرها. إن شاء الله تعالى.

و القول الثالث عن فائدة الالتفات هو قول ابن الأثير و قد عول الفائدة حسب كل موضع حاصل ما قاله هو أنه لا يختص بضابط بجمعه ولكنه يكون على حسب مواقعه في البلاغة و موارد في الخطاب. و آل كلامه إلى أن الناظر إنما يعرف حسن مواقع الالتفات إذا نظر في كل موضع يكون فيه الالتفات فيعرف قدر بلاغته بالإضافة إلى ذلك الموقع بعينه فأما أن يكون مضبوطاً بضابط واحد فلا وجه له.

ولا يصعب علينا أن نستنتج من هذه الأقوال المتشعبة أن نصل إلى نتيجة

ونقطة أساسية هي أن الفائدة (فى الالتفات) تنقسم إلى نوعين: فائدة عامة وفائدة خاصة: أما الفائدة العامة فهي التنشيط والإيقاظ وهذه موجودة فى كل أساليب الالتفات والفائدة الخاصة تختص فى كل أسلوب وكلام يكون فيه التفات وانتقال. وعلى القارئ المتأمل أن يبرز هذه الفائدة المستورة وراء الأساليب والأسرار الكامنة وراء الحجاب عن عامة الناس. وما نحن نذكر الفوائد الخاصة لأساليب الالتفات ضمن النماذج القرآنية وتطبيقاتها.

صُور الالتفات وأسراره فى ضوء أمثلة قرآنية

للافتات ست صور، وهى كما يلى :

- ① الالتفات من التكلم إلى الخطاب.
- ② الالتفات من التكلم إلى الغيبة.
- ③ الالتفات من الخطاب إلى التكلم.
- ④ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.
- ⑤ الالتفات من الغيبة إلى التكلم.
- ⑥ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.

وفى ما يلى نورد بشئ من التفصيل فى صورة دراسة تطبيقية فى ضوء أمثلة قرآنية.

① الالتفات من التكلم إلى الخطاب

قال الله تعالى: عن صاحب يس (حبيب النجار) ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣١) فقد التفت من التكلم فى قوله :

﴿وَمَا لِيَ لَا أُعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قال ابن الأثير تحت هذه الآية "وإنما صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم لأنه أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة. وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويدرهم لأن ذلك أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه..... (٣٢)

ونسب ترك العبادة إلى نفسه في قوله "وما لي لا أعبد....." تعريضا بالمخاطبين وإشارة إلى أنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه أن ما يلزمهم من إنكار ترك العبادة يلزمه في جملتهم على تقدير تركه لها. وهو من الملاطفة في الخطاب ولما عدل من الخطاب المعرض به لأجل هذا إلى التكلم ناسب إجراء الكلام على طريق التكلم (٣٣) وقال صاحب حاشية الدسوقي القول نفسه إلا أنه أضاف بقوله: "لأن قوله ﴿وَمَا لِيَ لَا أُعْبُدُ﴾....." تعريض بالمخاطبين لأن المقصود و عظهم وزجرهم على عدم الإيمان فهم المقصودون بالذات من ذلك القول وعلى هذا التحقيق. ففي قوله ﴿وَمَا لِيَ لَا أُعْبُدُ﴾ التفات على مذهب السكاكي فقط لأنه تعبير على خلاف مقتضى الظاهر وفي قوله "إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ" التفات على المذهبيين. (٣٤)

وهذا فضلاً عما يفيد أسلوب الالتفات من تحريك وإثارة لمشاعر السامع وأحاسيسه وتنبيه لذهنه وفكره إذ فيه تنويع ، وليس فيها استمرار الكلام على طريقة واحدة ، وفيه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه ، وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة (٣٥)

وقوله تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَخْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) ففي الآيتين الكريمتين التفاتان فأما الأول فهو من التكلم في قوله "آتيناهاهم" إلى الخطاب في قوله

﴿إِنْ رَبِّكَ﴾ والثاني التفات من الخطاب في قوله ﴿إِنْ رَبِّكَ﴾ إلى التكلم إلى الخطاب في قوله ﴿جَعَلْنَاكَ﴾ والسر في الأول- والله أعلم- هو أن الربوبية تقتضى أن تُقضى المسائل الخلافية فيما بين المخلوقات و أيضاً في الآية إشارة إلى أن الحكم والقضاء بين عباده مختص به سبحانه وتعالى- والغرض في الثاني إظهار الكبرياء والعظمة والإشارة إلى عظمة هذه الشريعة المطهرة المنزلة من قبل الحق سبحانه وتعالى التي ظهرت من جمعي أنواع الشكوك والإبهام-

وكذا قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِينَ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٣٧)

نجد في الآيات المذكورة عدة التفاتات الأول هو التفات من التكلم في قوله ﴿رَوَّجْنَاهُمْ﴾ إلى الخطاب في قوله ﴿فضلاً من ربك﴾ والسر هو- والله أعلم- بيان علة التزويج بالهور العين بحيث أن هذه النعم المتنوعة بسبب فضل ربك لأن الربوبية تقتضى هذه الرحمة وليس هذا جزاء أعمالهم بل مجرد فضل من ربك، والثاني هو التفات من الخطاب في قوله ﴿فضلاً من ربك﴾ إلى التكلم في قوله ﴿يسرنا﴾ لأن ضمير المتكلم يدل على الكبرياء ويظهر العظمة والفخامة-

② الانتقال من التكلم إلى الغيبة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ (٣٨)

وفائدة الالتفات من التكلم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ إلى الغيبة ﴿فصل لربك﴾ أن في لفظ الرب حث على فعل المأمور به لأن من يربيك يستحق العبادة وفيه إزالة الاحتمال أيضاً لأنه قوله إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكوثر ليس صريحاً في إفادة الإعطاء من الله وأيضاً كلمة "إِنَّا" تحتل الجمع كما تحتل الواحد بنفسه فلما التفت بقوله فصل

لربك زال هذان الاحتمالان (٣٩) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٤٠)

وفيها التفات من التكلم في قوله ﴿إني رسول الله﴾ إلى الغيبة في قوله ﴿فأمنوا بالله ورسوله﴾ وكان مقتضى الظاهر أن يقال فأمنوا بالله وبى ولكن انتقل من التكلم إلى الغيبة لفائدتين: إحداهما دفع التهمة عن نفسه بالعصية لها والثاني تنبيههم على الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة من النبوة والامية التي هي أكبر دليل على صدقه وأنه لا يستحق الاتباع لذاته بل لهذه الخصائص (٤١) أي "أن الإيمان والتصديق ليس لذات محمد عليه الصلاة والسلام وإنما لتلك الصفات أي: لكونه رسولاً نبياً آمياً يؤمن بالله وكلماته فهي بمثابة البرهان على صدق رسالته. صلى الله عليه وسلم. (٤٢) "والأصل أن الانتقال من التكلم إلى الغيبة وهو أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضر أو غاب وأنه ليس ممن يتلون ويتوجه ويبدى في الغيبة خلاف ما يبديه في الحضور" (٤٣) وانظر قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (٤٤) وقد التفت من التكلم في قوله ﴿إنا فتحنا﴾ إلى الغيبة ﴿ليغفر لك الله﴾ والأصل ليغفر لك ليبرز ويوضح أن هذا مقصود التكلم (٤٥) وخذ قوله تعالى ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (٤٦) "فالأصل: لا تقنطوا من رحمتي فالتفت إلى الغائب إبرازاً للفظ الجلالة الملازم لذكر الرحمة والمغفرة" (٤٧) وانظر قوله تعالى ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٨) وفيها التفات من التكلم في قوله ﴿وتلك الأيام نداؤها﴾ إلى الغيبة في قوله ﴿وليعلم الله﴾ لأن الاسم الظاهر من قبيل الغائب والفائدة بالالتفات إلى الغيبة بسنده إلى الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار بأن صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل

من أفعاله تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته التي استجمعها هذا الاسم الأعظم
مغاير لمنشأ آخر" (٤٩)

وكذا قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ
مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٠) وفي الآية التفات من التكلم في "نرفع" إلى الغيبة
في "إن ربك" وسر الالتفات هو إظهار مزيد من اللطف والعناية به عليه السلام كما
قال أبو السعود "في وضع الرب مضافاً إلى ضميره عليه السلام موضع نون العظمة
بطريق الالتفات في تضاعيف بيان أحوال إبراهيم عليه السلام. إظهار لمزيد لطف
وعناية به عليه السلام".

ولنتأمل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ
وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَايَتِ اللَّهَ يَجْحَدُونَ- وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا
وَأُودُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ- (٥٢)

في هاتين الآيتين التفات من التكلم في قوله "نعلم" إلى الغيبة في قوله
"آيات الله" لتربية المهابة واستعظام ما أقدموا عليه من جحود آياته تعالى" (٥٣) أي
لإثبات المهابة وترسيخها وللإشارة إلى عظم ما ارتكب هؤلاء من الإثم بسبب جحود
آياته وإنكارهم. وكذا هناك التفات من الغيبة في "آيات الله" إلى التكلم في قوله
"نصرنا" لإبراز الاعتناء بشأن النصر وكذا الآية الثانية فيها التفات من التكلم في
قوله "نصرنا" إلى الغيبة في قوله "بكلمت الله" للإشعار بعلو الحكم فإن الألوهية من
موجبات أن لا يغالبه أحد في فعل من الأفعال ولا يقع منه تعالى خلف في قول من
الأقوال. (٥٤)

والخلاصة أن الالتفات من التكلم إلى الغيبة كثير في القرآن الكريم و
يختلف سر الالتفات باختلاف الموضع والحال ولكن رغم هذا تبقى الفائدة العامة
وهي التنشيط والتلوين في جميع المواضع.

③ الانتقال من الخطاب إلى التكلم

إذا نظرنا إلى هذا النوع من الالتفات من الخطاب إلى التكلم في القرآن الكريم نجده قليلاً بالنسبة إلى بقية الأنواع حتى أن السيوطي قال في كتابه "معترك الأقران في إعجاز القرآن الكريم" "ومثاله من الخطاب إلى التكلم لم يقع في القرآن؛ و مثل بعضهم بقوله "فاقص ما أنت قاض (٥٥) ثم قال "إنا آمنا بربنا" وهذا المثال لا يصح؛ لأن شرط الالتفات أن يكون المراد به واحداً في التعبيرين- (٥٦) وقد مثل الزركشى بهذه الآية المذكورة بقوله "وهذا إنما يتمشى على قول من لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحداً أى أن من شروطه عند الجمهور هو "أنه لا بد من اتحاد معنى الطريقتين (٥٧) أى أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه (٥٨) لأن تعريف الالتفات عندهم كما ذكر سابقاً "هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها (٥٩) والمعنى في الآية ليس واحداً لأن الضمير في ﴿فاقص﴾ يرجع إلى فرعون- عليه اللعنة- وفي ﴿إنا آمنا﴾ يرجع إلى السحرة الذين آمنوا برب موسى، والذي أراه صواباً هو رأى السيوطي إذ أن الشرط المهم قد فقد من النص- ولذا ليس علينا أن ندخل الآية ضمن الانتقال من الخطاب إلى التكلم-

رغم اتفاقنا مع رأى السيوطي في الآية الكريمة إلا أننا لا نوافق في قوله لعدم وقوع هذا النوع في القرآن الكريم (أى من الخطاب إلى التكلم) إذ وردت الآيات الكريمة مثل قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (٦٠) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ: يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (٦١) فقد التفت في الآيتين من الخطاب إلى التكلم في قوله "استغفروا ربكم ثم توبوا..... إلى التكلم في قوله "إن ربي". وهذا الالتفات ينبئ بعظمة ذى الجلال و

رحمته وإجابة من دعاه واختصاصه سبحانه وتعالى "بتلك الصفات" ويدفع توهم انصرافها إلى آلهتهم فيهما لو قيل "إن ربكم رحيم ودود" "إن ربكم قريب مجيب" (٦٢) وتأمل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ (٦٣) ففي الآية التفات من الخطاب في قوله "عليكم" إلى التكلم في قوله "إننا لذائقون" والنكته هو "زيادة التنصيص على المعنى بذوق العذاب" (٦٤) ولولا الالتفات لقالوا: إنكم لذائقون ولكنهم اثروا الالتفات ليدل على أن العذاب شامل للمتكلم والمخاطب.

ولننظر قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٦٥) ففي الآية التفات من الخطاب في قوله "ربك" إلى التكلم في قوله "بأعيننا" ثم التفات من التكلم في قوله "فإنك بأعيننا" إلى الخطاب في قوله "بحمد ربك" والسر في الأول - والله أعلم - هو التعظيم وإظهار الكبرياء لأن ضمير المتكلم فيه نوع من الاستعلاء والفخامة الذين لا يوجدان في غيره وللإشارة والإيذان بغاية الاعتناء بالحفظ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم. يأسف على الذين لا يؤمنون وقد يصل الأسف إلى مرحلة صعبة ولذا قيل له: اصبر لحكم ربك ولا تخف من كيد هؤلاء المنكرين لأنك في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلوك ولا يخفى ما في التعبير "بأعيننا" من البلاغة إذ استعمل "أعين" جمع كأن الأعين تنظر محمداً. صلى الله عليه وسلم. وتراقبه ليلاً ونهاراً لئلا يمه أي ضرر. (٦٦) وكذا قوله تعالى ﴿مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٧) ففي الآية التفات من الخطاب في قوله "عند ربك" إلى التكلم في قوله "فأخرجنا" للإيذان والإشارة على الكبرياء والعظمة وكذا في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيًّا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٦٨) في الآية الكريمة التفات من الخطاب في قوله "رحمة ربك" إلى التكلم في قوله "نحن قسمنّا" للإشارة إلى

كبرياء المتكلم وعظمته وهذا دأب مالوف عند الناس بحيث أن القائد يقول نحن فعلنا كذا، ولكن الفاعل يكون هو بنفسه فقط. وفي الآية التفات آخر من التكلم في "نحن" إلى الخطاب "في قوله" رحمة ربك للإيذان بأن الرحمة تكون من الرب. جل و علا. ولا شريك معه في هذا.

④ الانتقال من الخطاب إلى الغيبة

أما الالتفات من الخطاب إلى الغيبة فكقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَائِفَةٌ مِّنْهُم يَأْمُرُ بِالْفُلِ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ لَافِظِينَ ۚ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغُلُقُوتَ مِن بَيْنِ يَدَيْهِمْ فَالْفُلُ يَكُونُ مَكَانًا لِلْفُلْكِ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ ۚ إِنَّ رَبَّهُمْ لِغَفُورٌ ذَلِيلٌ ۚ﴾ (٦٩) وقد التفات في الآية من الخطاب في قوله تعالى "يسيركم" إلى الغيبة في قوله "وجرين بهم" لفائدة وهي أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم ويستدعي منهم الإنكار عليهم ولو قال: حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي انتجها خطاب الغائب (٧٠) أي أن الخطاب في يسيركم لعامة الناس لبيان كيفيتهم وسلوكهم أمام نعم الله تعالى. أي أنهم يدعون الله تعالى. وحده ولكن بعد ما ينجحون ويصلون إلى منازلهم يشركون بالله تعالى. ولذا قال الزركشي وفائدة العدول من خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم لتعجبه من فعلهم وكفرهم إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة. (٧١) أو أن سر العدول من الخطاب إلى الغيبة هو أن الخطاب أولاً كان مع الناس: مؤمنهم وكافرهم؛ بدليل قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (٧٢) فلو قال: "جرين بكم" للزم الذم للجميع فالتفت عن الأول للإشارة إلى الاختصاص بهؤلاء الذين شائنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية فعدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم وهم الموصوفون بما أخبر به عنهم (٧٣) أو عكس ما سبق: وهو أن الخطاب أولاً خاص و

آخره عام؛ فأخرج ابن أبي حاتم عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال في قوله: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ قال: ذكر الحديث عنهم؛ ولم يقل: "وجرين بكم"؛ لأنه قصد أن يجمعهم وغيرهم وجرين بهؤلاء غيرهم من الخلق. (٧٤)

أو أوتر الانتقال من الخطاب إلى الغيبة "لأنهم وقت الركوب حضروا لأنهم خافوا الهلاك وقلب الرياح فناداهم نداء الحاضرين ثم إن الرياح لما جرت بما تشتهي النفوس وأمنت من الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على ما هي عادة الإنسان: أنه إذا أمن غاب فلما غابوا عند جريه بريح طيبة ذكرهم الله بصيغة الغائب: فقال وجرين بهم" (٧٥) على كل حال كل هذه الأسرار ما هي إلا محاولات بشرية لإبراز أسرار القرآن الكريم الكامنة وكل من يدلي بدلوه فهو يخرج اللآلى والأسرار حسب قدراته الفنية والعلمية ولا يدعى الكمال أو الحصر في نفسه ولذا ليس من البعيد أن يكون لآية مئات الأسرار البلاغية والفنية وليس علينا إلا التأمل والتدبر والوقوف على هذه الأسرار.

وانظر قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٧٦) وفيها التفات من الخطاب في قوله "فلا تستعجلوه" إلى الغيبة في قوله "يشركون" للإيدان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شناعتهم للغير وهذا لا يتأتى على تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين" (٧٧) وكقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (٧٨)

وقد التفت في الآية الباركة من الخطاب في قوله "يريكم....." إلى الغيبة "وهم يجادلون" "إيداناً بإسقاطهم من درجة الخطاب وإعراضاً عنهم وتعيداً لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قيل هو الذي يفعل مثل هذه الأفاعيل

العجيبة من إراءة البرق وإنشاء السحاب الثقال وإرسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين أو الرعد نفسه أو الملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبتة تعالى وهم الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلهم وهوانهم وحقارة شأنهم (يجادلون في الله) أى فى شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من إنكار البعث واستعجال العذاب (٧٩)

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونْ فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ (٨٠) "الأصل أن يعطف على الفعل الأول إلا أنه صرف الكلام من الخطاب إلى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى قوم آخرين ويقبح عليهم ما فعلوه ويقول ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء فى دين الله فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً وذلك مثل اختلافهم فيه وثباتهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة إليه يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوه. (٨١) وانظر قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٨٢) وفى الآية الكريمة التفات من الخطاب فى قوله "فضلكم" إلى الغيبة هى قوله "يجحدون" لأن جملة "أفبنعمة الله يجحدون" صالحة لأن تكون مفرعة على جملة "والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق" باعتبار ما تضمنه من الامتنان أى تفضل الله عليكم جميعاً بالرزق أفبنعمة الله تجحدون استفهاماً مستعملاً فى التوبيخ وجملة "فما الذين فضلوا" إلى قوله تعالى "فهم فيه سواء" معترضة بين الجملتين وعلى هذا الوجه يكون فى "يجحدون" على قراءة الجمهور بالتحية أى (بالياء) التفات من الخطاب إلى الغيبة ونكتته أنهم لما كان المقصود من الاستدلال المشركين فكانوا موضع التوبيخ ناسب أن يعرض عن خطابهم وينالهم المقصود من التوبيخ بالتعريض أو أن السر فى الالتفات هو الإيذار باستعجاب حالهم للإعراض عنهم و صرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين تعجباً لهم لما فعلوه (٨٣)

⑤ الانتقال من الغيبة إلى التكلم

من الآيات التي غير فيها الأسلوب من الغيبة إلى التكلم قوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٨٤) وقد استعمل أولاً "سبحان الذي" بلفظ الواحد الغائب ثم قال "باركنا حوله" بلفظ الجمع المتكلم ثم قال "إنه هو السميع العليم" بطريق الغائب. ولو جاء الكلام على مساق الأول لكان سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلا المسجد الأقصى الذي بارك حوله ليريه من آياته..... وهذا كله يكون معطوفاً "على أسرى" فلما خولف بين المعطوف والمعطوف عليه في الانتقال من صيغة إلى صيغة للتفنن والاتساع في أساليب الكلام ولمقصد وسر معنوي آخر وهو "لما قال (أسرى)" إذ لا يجوز أن يقال: الذي أسرينا (٨٥) فلما جاء بلفظ الواحد والله تعالى أعظم العظماء وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع استدرك الأول بالثاني فقال (بركنا) ثم قال (لنريه من آياتنا) فجاء ذلك على نسق (باركنا) ثم قال: (إنه هو) عطفاً على (أسرى) وذلك موضع متوسط الصفة لأن السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره: وتلك حال متوسطة فخرج بهما من خطاب العظيم في نفسه إلى خطاب غائب (٨٥) أو أن الله تعالى غير الأسلوب من الغيبة إلى التكلم "لأنه لما استحضر الذات العلية بجملة التسبيح وجملة الموصلية سار مقام الغيبة مقام مشاهدة فناسب أن يغير الإضمار إلى ضمائر المشاهدة وهو مقام التكلم أو للإيماء أن النبي- عليه الصلاة والسلام- عند حلوله بالمسجد الأقصى وقد انتقل من مقام الاستدلال على عالم الغيب إلى مقام مصيره في عالم المشاهدة. أو للتوطئة والتمهيد إلى محل معاد الضمير في قوله "إنه هو السميع البصير" فيتبادر عود ذلك الضمير إلى غير من عاد إليه ضمير "نريه" لأن شأن تناسق الضمائر ولأن العود إلى الالتفات بالقرب ليس

من الأحسن.....(٨٧) وقد دل أسلوب الالتفات في الآية على ما للمسجد الأقصى من مكانة فقد بارك الله حوله ولم يقل "بارك" بناء على الظاهر فيمضى الأسلوب على طريقة واحدة بل قيل: "باركنا" تنبيهاً للمؤمن إلى تلك المكانة العالية كما يبرز الالتفات أيضاً الغاية من الإسراء وهي إراءة النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات الكبرى فقد التفت إليها: "لنريه من آياتنا" إشارة إلى أن ذلك هو المراد وهو الغاية من الإسراء.(٨٨)

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا: أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأُوحِيَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرُهَا وَزِينَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾(٨٩)

وهذا التفات من الغيبة في قوله "استوى أو أوحى" إلى التكلم في قوله و"زينا" و"الفائدة في ذلك أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا. و أنها ليست حفظاً ولا رجوماً. فلما صار الكلام إلى ههنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس. لأنه مهم من مهمات الاعتقاد وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتقدة بطلانه. (٩٠) أو أن السر والفائدة هي "تجديداً لنشاط السامعين لطول استعمال طريق الغيبة ابتداءً من قوله "بالذي خلق الأرض في يقيمين" مع إظهار العناية بتخصيص هذا الصنع الذي ينفع ديناً ودنياً وهو خلق النجوم الدقيقة والشهب بتخصيصه بالذخر من بين عموم "و أوحى في كل سماء أمرها" فما السماء الدنيا إلا من جملة السموات وما النجوم والشهب إلا من جملة أمرها. (٩١) أي "أن كل سماء مخصوصة بأمر ألا ترى إلى هذا الأولى كيف قدرها عظيم الشأن ذو السلطان القاهر مزينة بهذه المصابيح.(٩٢)

كما أن هذا الالتفات "تشير إلى أن السماء الدنيا من أظهر وأوضح الآيات التي تدل

على قدرة الخالق- جل و علا- ولذا حث القرآن في مواضع كثيرة على النظر إليها و تأمل ما بها فكأن الالتفات هنا لفت لمؤمن إلى موضع العبرة والعظة. (٩٣) أو الآن الله تعالى قصد به الإخبار مطلقاً من غير قصد مدة خلقه وهو تزيين سماء الدنيا بمصابيح وجعلها حفظاً فإنه لم يقصد بيان مدة ذلك: بخلاف ما قبله: فإن نوع الأول يتضمن إيجاداً لهذه المخلوقات العظيمة في هذه المدة اليسيرة و ذلك من أعظم اثار قدرته و أما تزيين السماء الدنيا بالمصابيح فليس المقصود به الإخبار عن مدة خلق النجوم فالتفت من الغيبة الى التكلم فقال "زيناً". (٩٤)

و تأمل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ﴾ (٩٥) حيث التفت من الغيبة في قوله "والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه" فأحينا به "و" ينبئ هذا الالتفات بأهمية السوق وإحياء و يتجلى قدرة الله- عز وجل- في سوق السحاب و إحياء تلك الأرض الميتة فهذا ضرب من قسمة الأرزاق بين الناس و لذا ناسب أن يلتفت إليهما رب العزة- سبحانه و تعالى- (٩٦) أو لقصد الدلالة على الاختصاص فإنه لما كان سوق السحاب إلى البلد الميت و إحياء الأرض بعد موتها بالمطر دالاً على القدرة الباهرة التي لا يقدر عليها غيره عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم: لأنه أدخل في الاختصاص و أدل عليه: (سقنا) و أحينا). (٩٧) وفيه معنى آخر وهو أن الأقوال المذكورة في هذه الآية منها ما أخبر به سبحانه بسببه: وهو سوق السحاب فإنه يسوق الرياح فتسوقه الملائكة بأمره و إحياء الأرض بواسطة إنزاله و سائر الأسباب التي يقتضيها حكمه و علمه و الغالب في هذه الأفعال التي ليست في طوق البشر أن يخبر عنها بنون التعظيم الدالة على أن له جنداً و خلقاً قد سخرهم في ذلك و نختتم قولنا بنقل قول الزمخشري وهو يقول تحت الآية المذكورة: "وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت و إحياء الأرض بالمطر بعد موتها: لما كان من الدلائل على القدرة الباهرة قيل: فسقنا و أحينا: معدولاً بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص و أدل عليه. (٩٨)

⑥ الانتقال من الغيبة إلى الخطاب

هذا هو النوع الأخير في أساليب الالتفات وهو الانتقال من أسلوب الغيبة إلى الخطاب ولهذا أيضاً معاني ولطائف وأسرار كما كانت للأساليب الأخرى وتختلف هذه النكت باختلاف المواقع والحال وتأمل قوله تعالى في مفتتح كتابه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٩٩) فقد التفت من الغيبة في قوله: "مالك" إلى الخطاب في قوله "إياك نعبد" قال الزمخشري تحت الآية المباركة عن سر هذا الالتفات بعد بيان الفائدة العامة للالتفات "وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السامع وإيقاضاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع: أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخذوع والاستعانة في المهمات فخطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقبل إياك يامن هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحقق العبادة إلا به" (١٠٠)

والفائدة الأخرى أن قوله "إياك نعبد" ليس العدول فيه اتساعاً وإنما عدل إليه لأن الحمد دون العبادة فإنك تحمد نظيرك ولا تعبد فلما كان الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال: الحمد لله. ولم يقل "لك" لما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال: "إياك نعبد" تصريحاً بها وتقريباً منه عز اسمه بالانتهاء إلى محدوده منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ولم يقل غير الذين غضبت عليهم لأن الأول موضع التقرب إلى بذكر النعمة فلما صار إلى ذكر العقاب قال غير

المغضوب عليهم. فجاء باللفظ منحرفاً عن ذكر تحنناً ولطفاً. (١٠١)

وقد بين العلامة الألوسي عدة وجوه في سر التفات من الغيبة إلى الخطاب وقال "وقد ازدحمت فيه أذهان العلماء بعد بيان نكتة عامة وهي التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع.

١. فقل لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميزها عن سائر الذوات و تعقل العلم بالمعلوم المعين خوطب بذلك ليكون أدل على الاختصاص والترقى من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود وكأن المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهداً والغيب حضوراً. وكأن العلة نفس العلة التي بينها الزمخشري بصيغة أخرى.

٢. قيل: لما شرح الله تعالى صدر عبده وأفاض على قلبه نور الإيمان والإسلام من عنده ترقى بذريعة الحمد المستجلب لمزيد النعم إلى رتبة الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. (١٠٢) كأن الله تعالى صار عياناً أمام العبد ولذا خاطبه في مخاطبة الحاضر. وقد ذكر الألوسي أقوالاً كثيرة. تركناها خوف الإطالة ومن أراد المزيد فعليه الرجوع الى روح المعاني تحت الآية المذكورة.

٣. ومن لطائف التنبيه على أن مبدأ الخلق الغيبة منهم عنه سبحانه وقصورهم عن محاضرتهم ومخاطبته وقيام حجاب العظمة عليه فإذا عرفوه بما هو له و توسلوا للقرب بالثناء عليه وأمروا بالمحامد له وتعبدوا له بما يليق بهم. تأهلوا لمخاطبته ومناجاته فقالوا إياك نعبد وإياك نستعين. (١٠٣)

٤. وقال الإمام الطيبي عن سر الالتفات في الآية والنكتة فيه أن العبد إذا قدر مثوله بين مولاه من حقه أن يكون حاضر القلب يقظان النفس دراك لللمحة سيما إذا افتتح بالتحديد يستحضر بسوغ نعمائه جلائلها و دقائقها فإذا انتقل

منه إلى معنى الربوبية والمالكية يستزيد المحرك وإذا ارتقى منه إلى كونه شامل الرحمة و دنيائها و عقباها يتضاعف المحرك ثم إذ آل الأمر إلى أنه مالك الأمور فى العاقبة ثوابها و عقابها يصير ذلك المحرك إلى حد لا يتمالك معه إلى أن لا يقبل إلى معبوده و معينه الحاضر المشاهد". (١٠٤)

و كذا قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجْنَ بِخُمْرِهِنَّ وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ..... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠٥)

وفى الآية التفات من الغيبة فى قوله "يغضضن" إلى الخطاب "وتوبوا" لإبراز كمال العناية بما فى حيزه من أمر التوبة و أنها من معظمات المهمات الحقيقة بأن يكون سبحانه و تعالى هو الأمر بها لما أنه لا يكاد يخلوا أحد من المكلفين عن نوع تفريط فى إقامة مواجب التكليف كما ينبغى وناهيك بقوله. صلى الله عليه وسلم "شيبتنى هود" (١٠٦) لما فيها من قوله عز وجل ﴿فاستقم كما أمرت﴾ (١٠٧) لاسيما إذا كان المأمور به الكف عن الشهوات". (١٠٨)

و تأمل قوله تعالى: ﴿يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٠٩) فى هاتين الآيتين التفات من الغيبة فى قوله تعالى (وهم ينظرون) إلى الخطاب فى قوله "يعدكم" والسر - والله أعلم. حنيما خاطب سبحانه و تعالى إلى الصحابة و ذكر مدار فى قلوب بعض المؤمنين من الكراهية و عدم استعدادهم للخروج ذكرهم بصيغة الغيبة "الغائب" كأن الصحابة بريئون من هذا ولا يتوقع منهم هذه الكراهية و القعود فى البيت ولكن حينما ذكر وعده (إحدى الطائفتين أنها لكم) استعمل الحق

صيغة الخطاب للإشارة إلى أن الصحابة. رضوان تعالى عليهم أجمعين. هم مستحقون لهذه النعمة الكبرى وهم جديرون لمثل هذا الفتح ومن هنا ظهر أن صيغة الغائب للدلالة على أن الكلام كأنه يدور حول غيرهم (الصحابة) وآما الخطاب فيئدل على أنهم هم المقصودون وحدهم "وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (١١٠)

فى الآية التفات من الغيبة فى قوله "فيقول" إلى الخطاب فى قوله "لا تكرمون" للإيذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديداً للتقريع وتاكيداً للتشنيع (١١١) أى الالتفات لغرض التوبيخ أن الله تعالى بين سلوك الإنسان فى المنشط والمكره وذكر النقاط الضعيفة ثم خاطبه يا أيها الإنسان ذوصفة كذا وكذا رغم ضعفك واستعجالك وعدم استطاعتك تحمل الشدائد والصعوبات أنت لا تؤدى حق اليتيم ولا تحسن معاملة الفقراء رغم معرفتك ما يدور مع هؤلاء من المكاره وأنت تعرف مدى مرارة اليتيم والفقير. اللهم اجعلنا من الذين يحسنون إلى اليتامى والفقراء امين.

وانظر قوله تعالى فى بداية سورة عبس ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى﴾ (١١٢)

ونجد فى الآية الكريمة التفاتاً من الغيبة فى قوله "عبس" إلى الخطاب فى قوله "وما يدريك" وقد وضع العلامة الآلوسى سر هذا الأسلوب قائلاً "وفى التعبير عنه عليه الصلاة والسلام - بضمير الغيبة "فى عبس" إجلال له. صلى الله عليه وسلم لا يهام أن من صدر عند ذلك غيره لأنه لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم. مثله كما أن فى التعبير عنه صلى الله على وسلم. بضمير الخطاب فى قوله سبحانه ﴿وما يدريك﴾ ذلك لما فيه من الإناس بعد الإيحاش والإقبال بعد الإعراض وقيل أن الغيبة أولاً والخطاب ثانياً لزيادة الإنكار وذلك كمن يشكو إلى الناس جانباً جنى

عليه ثم يقبل على الجانى إذا حمى على الشكاية مؤجهاً بالتوبيخ وإلزام
الحجة..... (١١٣)

و إذا تأملنا قول الآلوسى تجد أن هناك نكتتين أو سريين للعدول عن
أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب الأول : أن الخطاب بعد أسلوب الغيبة للإناس
والتطف والإقبال بعد الإحاش كأن العابس والمتولى هو غير الرسول صلى الله
عليه وسلم. ثم خاطبه بالتطف والموانسة أما الثانى فعلى عكس الأول.

أما الثانى فعلى عكس الأول وأويد التعليل الأول لما فيه من التادب بشأن
الرسول. عليه الصلاة والسلام. والله أعلم.
وفى الآية التفات آخر على مذهب السكاكى فى عبس وتولى: لأنه مقتضى
الظاهر أن يسند إلى المخاطب وهو الرسول. صلى الله عليه وسلم.

الخلاصة

بعد إيراد النماذج والأمثلة من القرآن لصور الالتفات يجدر بنا أن نلخص
كلامنا فى النقاط التالية:

١. إن أسباب العدول من أسلوب إلى أسلوب آخر (الالتفات) ليست محدودة ولا
يمكن قصرها فى قالب معين أو فى دائرة محدودة: لكثرتها واختلافها باختلاف
المواقع والحال.
٢. لا يمكن أن يدعى أحد أن السر والنكتة التى ذكرها لفائدة الالتفات هى كل ما
فى الأسلوب وأنه بما ذكره قد كشف عن كل ما فيه: لأن طاقة البشر. مهما و
صلت إلى النضج والكمال. محدودة وناقصة ولا تستطيع أن تدرك جميع
الأسرار الكامنة فى كلام الله تعالى. كما أن هذا مناقض لفكرة الإعجاز:
لاستطاعة الإنسان أن يدرك السر الكامن وبالة الى استطاعته الإتيان بمثله.

٣. قد تكون هناك أسرار متعددة ومتبانية في الآية الواحدة.
٤. الفائدة العامة وهي- التنشيط واللذة والتطرية موجودة في جميع أنواع الأساليب إلا أن الفوائد الخاصة تختلف باختلاف الموقع والحال.
٥. لا يمنع عدم استطاعتنا الاستقصاء الكامل للأسرار والأسباب أن نذكر بعض الأسباب العامة وكثيرة ورود في الكلام. ومن هذه الأسباب. و التفصيل عنها قد مر في السابق. مثله المناصحة والنخسيس والأهمية والحث ودفع التهمة والاشارة إلى قصد المتكلم وتربية المهابة والتعظيم والتعجب والمبالغة والإسقاط من درجة الخطاب والطرء والإشارة إلى الغاية والهدف.
- وهناك أسباب أخرى كما ذكرنا سابقاً أن استقصاء جميع الأسباب هذا وراء طاقة البشر لأن السبب والسر يختلف باختلاف الموقع والحال. اللهم اجعلنا منالذين يتدبرون في كتابك ويتلذذون به. آمين يارب العالمين.



الهوامش

١. سورة هود: ٨١.
٢. ابن منظور: لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٦) تحت مادة "لفت" بتصرف.
٣. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق: الدكتور أحمد الحوفي و الدكتور بدوى طبانة (مصر، دار النهضة، الطبعة الثانية) ص: ١٦٧، وينظر الدكتور بدوى صيانة، معجم البلاغة العربية (بيروت، دار ابن حزم، ط: ٤) تحت كلمة "الالتفات".
٤. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة شرح وتعليق: محمد عبد المنعم الخفاجي، (مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، ط: ٢) ج: ١/ص: ٤١ في الهامش.
٥. المرجع السابق نفسه ص: ٤١.
٦. النساء: ٢٤.
٧. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، (مطبعة التقديم العلمية بمصر) ص: ٧٣.
٨. ينظر الإيضاح، ج: ٢/ص: ٨٦.
٩. وهو أن ينتزع من متصف بصفة آخر مثله فيها مبالغة في كمالها فيه كقولهم (مررت بالرجل الكريم والتسمية المباركة) جرّد من الرجل الكريم آخر مثله متصفاً بصفة البركة، وعطفوه عليه كأنه غير وهو هو. ينظر كتاب التبيان في علم المعاني للطبيبي: ص: ٢٨٢.
١٠. بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص، ج: ١/ص: ٤٨٦.
١١. هو ربيعة بن مقروم، شاعر إسلامي شهد الفادسية.
١٢. بانث: بعدت، معموداً: حزيناً. وابنة الحر: هم: سعاد.
١٣. الإثمد: اسم موضع، العائر: قدى العين.
١٤. ينظر السيوطي، عقود الجمان في المعاني والبيان (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي) ط: ٢، ١٩٥٥م، ج: ١/ص: ١٠٧.
١٥. أي في "ليلك" وفي "بات" وفي "جاءني"، ينظر الإيضاح ص: ٨٦.
١٦. والبشام: شجر طيب يستاك به..... وذو الأراك: مكان ينبت فيه شجر الأراك، والأيك: الشجر الملتف، والغلل: المكان الخصب الذي يجود بالغلة.

١٧. أبو الهلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، ت: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، مكتبة عيسى البابي، ١٧١م) ص: ٧-٤.
١٨. سورة يونس: ٢٢.
١٩. معمر بن المثنى، أبو عبد الله التيمي (ت: ٢١٠هـ) مجاز القرآن، عرض وتعليق الدكتور محمد فؤاد سزكين (القاهرة، مكتبة الخانجي) بدون تاريخ الطبع، ج: ١/ ص: ١١.
٢٠. ينظر بسيوني عبد الفتاح بسيوني، كتاب علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني (مطبعة دار السعادة، ميدان أحمد ماهر، شارع الجداوي رقم ١٢) ص: ١٦٨.
٢١. السكاكي، المفتاح، ص: ٨٦.
٢٢. انظر كتاب الطراز للعلوي، ج: ٢/ ص: ١٣١.
٢٣. ينظر ابن عاشور-محمد طاهر-التحرير والتنوير (دار التونسية، تونس ١٩٨٤م)، ج: ١٢/ ص: ٦٧.
٢٤. ينظر المفتاح: ص: ٩٥.
٢٥. الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (لبنان بيروت، دار الكتاب العربي، طبع في ١٩٤٧م) ج: ٣/ ص: ١٤١.
٢٦. ينظر مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص (مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، ط: ١، ١٣١٨هـ) ج: ١/ ص: ١٢٢.
٢٧. الكشاف، ج: ١/ ص: ٤٩.
٢٨. المصدر نفسه ج: ١/ ص: ١٧٢.
٢٩. المثل السائر، ص: ١٦٨، بتصرف يسير.
٣٠. كتاب الطراز للعلوي ج: ٢/ ص: ١٣٧.
٣١. سورة يس: ٢٠-٢٢.
٣٢. المثل السائر ص: ١٧٣. القسم الثاني.
٣٣. ينظر مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي ضمن شروح التلخيص ج: ١/ ص: ٤٢٢.
٣٤. حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص ج: ١/ ص: ٤٢٢.
٣٥. البرهان في علوم القرآن للزركشي ج: ٣/ ص: ٢١٥.
٣٦. سورة الجاثية: ١٧-١٨.
٣٧. سورة الدخان: ٥٤ إلى ٥٨.

٣٨. سورة الكوثر: ١.
٣٩. حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص ج: ١/ ص: ٤٦٨.
٤٠. سورة الأعراف: ١٥٨.
٤١. البرهان للزركشي، ج: ٣/ ص: ٣١٧.
٤٢. علم المعاني، ص: ٣٧٣.
٤٣. ينظر معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، القسم الأول / ص: ٣٧٩.
٤٤. سورة الفتح: ٢٠١.
٤٥. معترك الأقران، القسم الأول، ٣٧٩.
٤٦. الزمر: ٥٣.
٤٧. علم المعاني - ص: ٢٧٣.
٤٨. سورة آل عمران.
٤٩. ينظر روح المعاني ج: ٤/ ص:
٥٠. الأنعام: ٨٣.
٥١. أبو السعود النقاضي، محمد بن محمد العمادى (ت: ٩٥١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (بيروت، دار صادر، إحياء التراث العربى) ج: ٣/ ص: ١٢٧.
٥٢. الأنعام: ٣٤، ٣٣.
٥٣. أبو السعود، ج ٣/ ١٢٨.
٥٤. المرجع نفسه، ج: ٣/ ١٢٨.
٥٥. سورة طه: ٧٣.
٥٦. معترك الأقران ص: ٣٧٦. القسم الأول.
٥٧. الإيضاح في الهامش ص: ٨٦.
٥٨. البرهان للزركشي ج: ٣/ ص: ٣٣١.
٥٩. الإيضاح ج: ٢/ ص: ٨٦.
٦٠. هود: ٩٠.
٦١. هود: ٦١.
٦٢. علم المعاني: ٢٧٤.
٦٣. صفت: ٣١، ٣٠.

٦٤. التحرير والتنوير: ٢٣/١٠٢.
٦٥. الطور: ٤٨.
٦٦. ينظر أبو السعود ج: ٨/١٥٣.
٦٧. الذاريات: ٣٤-٣٥.
٦٨. الزخرف: ٣٢.
٦٩. يونس: ٢٢.
٧٠. هذا تعليل ابن الأثير في المثل السائر القسم الثاني. ص: ١٧٨.
٧١. ينظر البرهان: ص: ٣١٨/٣.
٧٢. يونس: ٢٢.
٧٣. ينظر البرهان للزركشي ج: ٣/٣١٨.
٧٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ج: ١/ص: ٣٨٠.
٧٥. البرهان للزركشي ج: ٣/ص: ٣١٨.
٧٦. النحل: ١.
٧٧. روح المعاني ج: ١٤/ص: ٩٢.
٧٨. الرعد: ١٣.
٧٩. تفسير أبي السعود ج: ٥/ص: ١٠.
٨٠. الأنبياء: ٩٢-٩٣.
٨١. الإمام ابن القيم كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن و علم البيان (باكستان جوجرانواله دار نشر الكتب الإسلامية) الطبعة الأولى: ١٣٩٤ هـ) ص: ١٠.
٨٢. النحل: ٧١.
٨٣. الألوسي روح المعاني ج: ١٤/ص: ١٩٢.
٨٤. الإسراء: ١.
٨٥. لأن فعل أسرى يسرى إسراء لازم يتعدى بحرف البحر.
٨٦. ينظر المثل السائر القسم الثاني/ ١٧٢.
٨٧. انظر تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ج: ١٥/ص: ٢٣.
٨٨. علم المعاني ص: ٢٧٧.
٨٩. فصلت: ١٢، ١١.

٩٠. المثل السائر لابن الأثير القسم الثاني- ص: ١٧٣.
٩١. تفسير التحرير و التنوير ج: ٢٤ / ٢٥١.
٩٢. كتاب التبيان في علم المعاني والبيان والبدیع ص: ٢٨٧.
٩٣. علم المعاني ص: ٢٧٦ د / بسيوني.
٩٤. ينظر البرهان للزركشي ج: ٣ / ٣٢١. ٣٢٢.
٩٥. فاطر: ٩.
٩٦. علم المعاني ص: ٢٨٦.
٩٧. البرهان للزركشي ج: ٣ / ص: ٣٢٩.
٩٨. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ج: ٣ / ص: ٦٠١.
٩٩. الفاتحة: ٤١.
١٠٠. الكشف ج: ١ / ص: ١٤.
١٠١. المثل السائر لابن الأثير ص: ١٧٠ القسم الثاني والفوائد المشوق لابن القيم. الحوزية ص: ١٤١. وغيره.
١٠٢. ينظر روح المعاني تحت إياك نعبد ج: ١ / ٨٩. ٩٠.
١٠٣. معترك الأقران للسيوطي القسم الأول ص: ٣٨١.
١٠٤. كتاب التبيان للطبيي- ص: ٢٨٤.
١٠٥. النور: ٣١.
١٠٦. الحديث في سنن الترمذي ونص الحديث: عن ابن عباس قال قال أبو بكر: يا رسول الله قد شئت هود والواقعة والمرسلات: السنن الترمذي: كتاب التفسير الواقعة: رقم الحديث ٣٢٩٧.
١٠٧. هود: ١٢.
١٠٨. أبو السعود ج: ٦ / ص: ١٧١.
١٠٩. الأنفال: ٧. ٦.
١١٠. الفجر: ١٧. ١٦.
١١١. أبو السعود ج: ٩ / ص: ١٥٦.
١١٢. عبس: ٢. ١.
١١٣. ينظر روح المعاني لألوسي ج: ٣٠ / ص: ٤٥.